الفصل السادس
مقومات الاستقامة في تعليم النشء

الفصل السادس

مقومات الاستقامة في تعليم النشء

قد لايتصور كثير من الباحثين أن لغة الخطاب التي تحمل هدي الإسلام بين الأجيال الكثيرة والناشئة تمثل أدباً رفيعاً في مخاطبة الوجدان ووقعاً حبيباً على النفس خاصة إذا ما اقترنت التوجيهات بنبرة القلب الخاشع ومشاعر الوالد الحنون.

إن القرآن الكريم وهو يقدم للإنسانية الهدي الإسلامي في تربية الناشئة يعطينا أعظم الدلالات وأقوى البراهين على صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان.

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نرى أن يلفت أنظار الآباء إلى مهمتهم، وفي وصايا لقمان لابنه ومواعظه كما حكاها القرآن نفسه عن هذا الأب الحكيم في هذه الآيات الكريمة التي تبدأ بالثناء على لقمان بأنه أوتي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، نرى الدرس ألغ ما يكون، فيقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١)

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾

---

(١) سورة لقمان الآيات: ١٢-١٣ و ١٦-١٩.

إن هذه التوصيات التربوية، التي حكاها القرآن على لسان لقمان كنموذج لاهتمام الآباء بالأبناء أو عناية الشيوخ بالشباب- واضحة المعاني، سامية الأهداف لا تحتاج الى تفكير كثير، أو تفصيل طويل.

فهي أولاً: تتضمن النهي عن الشرك بالله فهو الحقيق بالتوحيد والعبادة لأنه الخالق الرزاق والمحيي والمميت، وهو الفعال لما يريد.

ثانياً: التنبيه إلى أن الله تبارك وتعالى يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإن الأحداث والأشياء الصغيرة، مهما دقت وخفيت فإن الله يعلمها ويأتي بها يوم القيامة ويحاسب عليها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، إن الله لطيف خبير، فعلى الشباب أن يدركوا هذا المعنى الدقيق لقدرة الله، ولحكمته الواسعة، وخبرته المحيطة.

ثالثاً: الأمر بإقامة الصلاة التي هي عمود الإسلام، وهي كذلك فرق مابين الكفر والإيمان، ثم التوجيه إلى واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما أساس المجتمعات وقيامها على الحق، والخير والبر، ثم الوصية بالصبر على مكاره الدعوة الى الله، ومتاعب الجهاد في سبيله، ففي الصبر – كما جاء في الحديث- خير كثير وجزاء للصابرين كما يقول القرآن: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [1] .

رابعاً: الزجر عن الكبرياء في معاملة الناس، وعن الخيلاء مشياً في الأرض فإن الله يبغض كل مختال فخور.

خامساً: الأمر بالاعتدال في الخطى ن وخفض الصوت عن الكلام لأن رفع الصوت ليس من أدب الإنسان بل هو شأن الحيوان.

ونمضي في تأمل آيات القرآن الكريم، فنجده يثني على جماعة من الشباب بـــ ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [2] .

لماذا ؟ لأنهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آله، ولجأوا الى الله في كهف يعبدونه ويدعونه ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [3] .

---

(١) سورة الزمر الآية: ١٠.
(٢) سورة الكهف الآية:١٣.
(٣) سورة الكهف الآية: ١٠.

ونجد القرآن – في موضع آخر، في سورة كاملة- يضرب بنبيه يوسف (عليه السلام)، مثلاً للشباب الصالح العفيف الذي يستعصم عن الفسوق و هو يتعرض لفتنة جمال امرأة العزيز، ويتصدى لرغبتها فيه، ودعوتها إياه واستعدادها له: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١) .

كما نقرأ في أواخر سورة (النور) تأديباً قرآنياً رائعاً لأعضاء الأسرة المسلمة يشمل الشباب، في موضوع الاستئذان من الصغار بدخولهم على الكبار في أوقات الراحة والخلوة ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) وذلك لئلا يطلعوا على علاقات آبائهم الخاصة، فيشغلوا بها، قبل أوانها وفي ذلك فساد كبير.

وأخيراً نجد القرآن يصور لهفة الآباء وحرصهم على صلاح ذريتهم في الدنيا تمهيداً للحاقهم بهم في سعادة الآخرة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٣).

وبصفة خاصة ينبئنا القرآن بقصة نوح عليه السلام مع ابنه: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٤) ولكن الابن أصر على الافتراق عن أبيه، فلم ييأس نوح عليه السلام وتوجه الى ربه العزيز الحكيم بقلب الأب العطوف المتعلق: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (٥) وقريب منها قصة ابراهيم عليه السلام في سؤال

---

(١) سورة يوسف الآية: ٢٣.
(٢) سورة النور الآية: ٥٩.
(٣) سورة الفرقان الآية ٧٤.
(٤) سورة هود الآية: ٤٢.
(٥) سورة هود الآية: ٤٥.

ربه عز وجل أن يشمل بذيه بالصلاح: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [1] وأن يجعلهم أئمة هدى مثله ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [2].

فالقرآن إذ يقدم لنا من وصايا وآداب وقصص عن (الأبناء) وضرورة عناية (الآباء) بتقويمهم وتعليمهم إنما يؤكد اهتمامه البالغ بشباب الأمة الإسلامية، ولقد اهتم نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) بالشباب تعليماً وتربية وتوجيهاً الى الخير، وانتفاعاً بنشاط الشباب وحماسه، وإخلاصه، فقد رويت عنه (صلى الله عليه وسلم) الأحاديث التالية:

- (أوصيكم بالشباب خيراً، فإنهن أرق أفئدة.. إن الله بعثني بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ)[3]، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [4].
- اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) [5].
- كما ذكر (صلى الله عليه وسلم) فيما يسأل عنه العبد يوم القيامة قبل أن يقضي له أو عليه أنه: (يسأل عن شبابه فيما أبلاه)[6].
- وعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: (الشاب الذي ينشأ في عبادة ربه) [7].
- (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) [8].

---

(١) سورة ابراهيم الآية: ٢٥.
(٢) سورة البقرة الآية: ١٢٤.
(٣) كشف الخفاء، ج:١، ص: ٢٥١.
(٤) سورةالحديد الآية: ١٦.
(٥) الحاكم، ج:٤، ص: ٣٠٦.
(٦) الترمذي، قيامة:١.
(٧) صحيح البخاري: ٢٢٢/٢.
(٨) صحيح البخاري: ٩٢/٩.

- (ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن) [1].
- (لأن يؤدب الرجل ولده خير من أي يتصدق كل يوم بنصف صاع) [2].
- (مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وألبسوهم السراويل وفرقوا بينهم في المضاجع) [3] .
- (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم)[4].
- يا غلام أعلمك كلمات: (احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده اتجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) [5].
- وغير ذلك من توجيهات تربوية يخص الإسلام بها الشباب- وبتأمل هذه الاهتمامات النبوية بالشباب نتبين أن الإسلام حريص على أن يلفت أنظار المسلمين وأفكارهم الى حقيقة تكوين الشباب كغرسة ناشئة طرية قابلة للتشكيل والتلوين على الصورة المرادة.
- هذا وغاية الإسلام من طرح لغة الخطاب الراقية التي يجب أن تكون بين الأجيال ضبط سلوكه وفق عملية تربوية بحيث تتسق وتتطابق مع السلوك والاتجاهات الإسلامية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [6].

هذا ويوجه القرآن الكريم أنظار الآباء والمربين الى مبادئ تربوية سامية عليهم الحرص عليها خلال تربية أبنائهم، ويتجلى هذا التوجيه في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قصة الشاب الصالح في البيئة الفاسدة، نبي الله يوسف (عليه السلام) قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا

---

(١) أحمد بن حنبل: ٤١٢/٣.
(٢) أحمد بن حنبل: ٩٦/٥، ١٠٢.
(٣) أحمد بن حنبل: ١٨٧/٢.
(٤) ابن ماجه كتاب الأدب، الباب الثالث.
(٥) أحمد بن حنبل: ١٩٢/١، ٢٠٢، ٢٠٧.
(٦) سورة الأعلى الآيات: ١٤-١٧.

أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١).

ويوضح لنا الخالق سبحانه وتعالى في سورة النور، مجموعة من الآداب والقيم الاجتماعية التربوية التي يجب غرسها في نفوس النشء وتدريبهم سلوكياً عليها، مثال هذا وكما سبقت الإشارة إليه استئذان الصغار عند دخولهم على الكبار خلال وقت الراحة والخلوة: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)، وذلك حتى لايطلع الأبناء على علاقات آبائهم الخاصة فتترك أثراً سيئاً في نفوسهم ويشغلون بها قبل الأوان.

يوضح لنا القرآن الكريم في سورة الفرقان خصائص عباد الرحمن التي يجب غرسها في النشء من خلال العملية التربوية قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ .

---

(١) سورة يوسف الآيتان: ٢٤/٢٣.
(٢) سورة النور الآية: ٥٩.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (١)

ومن قصة نوح عليه السلام مع ابنه ليس على المربين إلا أن يتخذوا من القرآن الكريم أسلوبه العظيم في مخاطبة الناس، ودعوتهم الى الخير لأنه بالاضافة الى أنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فهو يتضمن أرق الأساليب وأعظم وسائل التربية.

(١) سورة الفرقان الآيات: ٦٣-٦٩، ٧٢-٧٤.